اللواء ١٢ أيار ٢٠١٨

إلامَ التسوّل؟

آفة كبرى ... بل آفة الآفات في هذه البلاد.

هذا حاملٌ لوحة، وذاك أيقونة، وآخر كتاب توصية، وآخر غير ذلك من أدوات الاستجداء. هذه حاملة طفلاً قذراً، وتلك تجرّ وراءها سلسلة من صبية نصف عراة، وأخرى مرتدية ثياباً خلقة لا تستر عريَها، وأخرى وأخرى... ممّا لا يحصيه عدٌ...

تأمّل شاباً في عنفوان الحياة مفتول الساعدين متين البنية، مفترشاً الغبراء عارياً إلا من خرق - وكأنه التنين يشخر أو البعير يهدر - يستعطي ويستعطف... وإذا ما تجرأت على انتهازه أو نصحه: قم اعمل عملاً يزيدك نفعاً ويكفيك ذلّ السؤال، أجابك بقحة لا مثيل لها: ربّك لا يزحزحني ولا يثنيني عن تصرفي هذا!..

وما قولك في شاب آخر تمرّس بفن الاختلاج وبرع، يوهمك إذا اقتربت منه انه مشلول، وإذا ابتعدت عنه يعود مخلوقاً سويّاً لا يشكو شللاً ولا ألماً البتة!..

وآخر يتسرّب إلى منزلك بحجة الاستعطاء فيسرق مالك ومتاعك..

لا يكتفي الشحاذ بالكلام والتباكي بل يعمد، لإثبات وجوده، الى اللمس والجذب فيوقفك في كلّ قحة ويتفرّس فيك، ويسمعك كلمات نابية، بل شتائم بذيئة.

وبكلمة، نحن امام جيش عرمرم لا يُقهر يغزونا في النادي والمقهى والشارع وعلى أبواب الكنيسة والمسجد والبيت...

لا ينكر ان هناك فئتين من الفقراء: فئة المحتاجين المتسترين والعجزة والمشوهين الذين لا قدرة لهم على العمل، وهم نفرٌ قليل يشعر من يلتقيهم ان الفاقة تنهشهم نهشاً، وتلك الفئة هي حرية بالمساعدة السخية والعطاء الجزيل - وفئة الشحاذين الذين احترفوا الشحاذة وداسوا كرامتهم ويعملون لدوس كرامة مواطنيهم وبلادهم، وتلك فئة المحتالين، واللصوص، والدجالين، والأثرياء المتسترين بالفقر ولهم أموال وأملاك تنعش المشاريع العمرانية. وكم مُتفاقر متسوّل اكتشف التحقيق عنده البنايات السامقة والمال الحير!

في القديم، أنشأ بعض الخلفاء «التنبلخانة»، قذفوا فيها كل تلك القذارة التي قد تبلغ «أعلى» المستوى وترتدي أجمل الملابس!... فلا يخرج منها الا مَن عوّل على العمل وكسب لقمته بعرق جبينه، وهكذا قطعوا دابر الشحاذين.

فهلّا تمثلت بهم إحدى حكوماتنا المتوارثة عموماً فارتاحت وأراحت المجتمع من أحد أوبئتنا الفتّاكة!

د. جهاد نعمان